



دعبل الخزاعي

تأليف السير محسن الأمين
للاستاذ إبراهيم الوائلي

ليس من شك في أن دعبل الخزاعي من أشهر شعراء القرنين الثاني والثالث للهجرة فقد تطرق في نظمته إلى مختلف المواضيع وتعرض بشعره إلى كثير من الأشخاص، وعرض نفسه إلى شتى المخاطر حتى انتهت حياته إلى الاغتيال وهو بميد عن أهله ووطنه .

ولقد نظر مؤرخو الآداب إلى هذا الشاعر من زاوية القاييس العامة التي حددوها بها الشعر القديم فسموه شاعراً هجاء مقذغاً في هجائه وشاركهم في الرأي بعض المؤرخين المحدثين، ولكننا حين ننظر إلى هذا الشاعر نظرة فيها شيء من العمق والتحليل نستطيع أن نسميه شاعراً سياسياً وإن يكن في شعره ما يسمى هجاء بالمعنى الدقيق لأن بعض الذين تتناولهم ليس له خطر في المجتمع .

وليس من شك في أن شعر دعبل يمثل حياته المضطربة ونفسه الثائرة ونوازع المذهبية التي دفعت به إلى كثير من المخاطر، وما تعرض به للخلفاء العباسيين يمثل صفحة كبيرة من الشعر السياسي المارم في العصر العباسي الأول وليست السياسة بأكثر من أن يتعرض الرشيد وأولاده وأحفاده ويتناولهم تناولاً شديداً الوقع على أنفسهم حتى أغضبهم واتق منهم الجفوة والمنت كما اتق منهم الخطوة والتكريم، بقربه الرشيد ويرفع من مغزاه فينال بهد موته، ويصفع عنه المأمون فيقابل هذا الصفح بالتمرد والظلم، ويشنع على أبي عباد وزير المأمون فلا يجد منه غير الصكوت، ويسخر إبراهيم بن المهدي أشد السخرية ويتندر بالأميين والمعتصم، ويفضض التوكل فلا يسلم منه إلا بالحرب، ويتجاوزهم إلى غيرهم من ذوي المكافئ في المجتمع حتى نمته مؤرخو الآداب بنموت شتى من سلاطة اللسان وإغشاش الكلام وأقذاع المعجوة، وكل هذه

النموت التي وصفوها بها الشاعر مردوها إلى تلك النظرة السطحية التي لم تنوغل إلى دخيلة القلب ولم تتمق في مطاوي النفس، مع أن الأمر أبسر مما تصوروه في هذا الشاعر. ولو أنهم أرجعوا هذه الثورة إلى منابعها الأصلية ودوافعها الذاتية لأنصفوا الشاعر وأعطوه نصيبه من الدراسة المتينة وأعادوا من شعره في تاريخ الأدب السياسي، وما هذه النايغ والدوافع إلا عقيدة الشاعر ومذهبه؛ فقد كان دعبل ممن يوالون آل علي ويتمصبون لهم، وقد مدح أحياءهم مدحاً أقوى العاطفة والإحساس، وبكى شهداءهم بكاءً سخى الدموع شديد الحزن، وكان من البدعي أن يقف الشاعر من خصومهم موقفاً لا يرضى الخصوم وأن يتمصب لأوليائه ويدافع عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فالرشيد قد آذى الإمام الرضا وسجنه وهو من أئمة دعبل، والمأمون يبيع الرضا بولاية العهد ثم ينكل عن هذه البيمة، والتوكل يفضض الشيعة ويطاردهم حتى في ضريح الإمام الحسين، وإبراهيم بن المهدي يبايعه الناس في بغداد عناداً للمأمون في موقعة الأول من الإمام الرضا، وإبراهيم هو من هو في لموه وعجونه، وأبو عباد وزير المأمون كان شرس الخلق جافي الطبع. إن من الحق لدعبل - وهو يتولى آل علي - أن يتصف لهم ويدافع عنهم ويتندد بخصومهم ولو ناله ما ناله من الأذى والتشريد لأن هذا جزء من عقيدته الدينية ومذهبه. وليس بقريب عليه أن يتمصب لعقيدته ومذهبه ما دام يجد في هذا التمصب لقائه الروحية واطمئنانه النفسي، وما دام يرى آل علي أصلح من غيرهم لرعاية دينه وعقيدته وأولى بالحكم من سواهم.

هذه النقطة الدقيقة في تاريخ هذا الشاعر وجدنا منها لمحة عابرة في كتاب «دعبل الخزاعي» لمباحة العلامة السيد محسن الأمين وهو كتيب صغير ألف في الأيام القريبة وطبع في دمشق. وكنا نود أن تكون هذه النقطة موضع عناية المؤلف الجليل ولكن لم يفعل ذلك جرباً مع عادته في التأليف إذ أنه يعني بالترجمة وجمع ما تفرق من أخبار المترجم له وتتبج حياته الأدبية والمادية إذا كان للثانية سلة بالأولى دون إطالة في التحليل أو عمق في الدراسة، على أنه لا ينسى أن يعحص الأخبار التي ينقلها عن حياة الشاعر ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ويقارن ويوازن وكثيراً

النساء ، وإما بالاعتماد على الحوادث الضخمة المثيرة ، وإن كانت في صميمها فارغة من المعاني والدلالات ؛ ولكن هؤلاء لا يفهمون فن القصة ، ولا يعرفون رسالتها الفنية ، وإنما يعرفون ويضخمون شيئاً واحداً هو اكتساب الشهرة الزائفة ، بتعلق غرائز الجماهير

أما الأستاذ حسن محمود ، فإنه يعنى في قصصه أول ما يعنى ، بإبراز الأثر الداخلي الذى تمكسه الحوادث الخارجية في نفوس شخصيات ، فالإدراك لا يعتمد على الظاهر ، ولكن لأثرها النفسى ، ومن ثم تكون الحادثة الصغيرة لها حظ كبير ، لأنه يعرف كيف يستلهم منها المعاني الكبيرة ، وكيف يستخرج منها الدلائل العميقة ، وهذه هي القدرة ، وتلك هي البراعة . وشيء آخر يتصل بذلك ، هو أن الأستاذ حين رسم شخصياته لا يعتمد في ذلك على الألفاظ وحدها يسرد بها أوصاف تلك الشخصيات مردأً متتابساً ، كما يفعل بعض كتاب القصة عندنا ، ولكنه يوزع لمساته التصويرية على أجزاء القصة كلها ؛ ليتسنى له استخدام الحوادث في الرسم والتصوير ، فلا ينتهى من القصة حتى تكون شخصياتها قد استوفت حظها من دقة التصوير ، وبلغت قسطها من قوة الحياة .

وقد قلنا إن الأستاذ حسن محمود لا يعتمد في إثارة قارئه على الحوادث الضخمة المثيرة ؛ وزيد هنا أن مادة قصصه لهذا السبب تمتاز في مجموعها بالبساطة والعمق ؛ لأنه يتناول الحادثة البسيطة في مظهرها الخارجي ، فيتمتعها بفكره وروحه وتجاربه ، ثم يمرضها لنا ، فنرى فيها ما لم نكن نرى ، ونفهم عنها ما لم نكن نفهم ، فهو من أولئك الملهمين الذين يلتقطون الفتات المتساقط من مائدة الحياة ، فيحيلونه بفهم أعظم غذاء للنفس الانسانية ، في حياتها المثالية الرفيعة !

وأسلوب الأستاذ في قصصه ، يلائم مادة هذه القصص كل الملازمة ؛ فهو مثلها بسيط عميق ، ينساب كالما في رقة ودعة ، لا من خحولة مجراه ، ولكن من طبيعة مسراه ، فلا ترى فيه المبارات الطنانية ، والكلمات الضخمة ، وإنما هي كلمات طبيعية يؤلف بينها في حذق وبراعة ، فإذا هي عميقة الدلالة ، قوية الإيحاء ، وافرة الأنتام والأصداء ، والأنواء والظلال !

وكثيراً ما يستنبط من الخبر الواحد فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل والتسوق ، ولكنه ميل قليل بالنسبة لطريقته العامة التى أشرنا إليها والتي تجعلنا في هذا الكتيب الصغير الذى جمع فيه معظم ما تحدث به المؤرخون عن دعيل الخزامى وعن مواقفه من الخلفاء وصلته بهم ومقدار ما ظهر به من إطرار وتدو به بشاعريته . ثم علاقته بأل على ومدحه لإمام . وفي الكتاب منتخبات كثيرة من شعر دعيل في المديح وفي السياسة ، وقصيدته الثابتة المشهورة في آل البيت التى يمدحهم بها ويستعرض مصارع الشهداء منهم استعراضاً حزيناً باكياً وغير ذلك من المقطوعات .

وأمل هذا الكتاب عمل ضئيل بالنسبة لما أنتجه سماحة السيد الأمين من كتب وموسوعات في الأدب والشعر إلى جانبه كتبه الدلية النافعة .

إبراهيم الوائلى

أجواء

تأليف الأستاذ حسن محمود

للاستاذ إبراهيم محمد نجما

كتاب صغير الحجم ، قليل الثمن ، ولكنه على صغر حجمه ، وقلة ثمنه ، يجمع بين القيمة الفنية الكاملة ، والمتاع النفسى الوفير . ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ حسن محمود ، وهو كاتب قصصى من طراز رفيع ، يعمل للمجد الأدنى ، دون أن يحفل بالشهرة الزائفة ، ولذلك يعنى كل العناية بجودة إنتاجه وإتقانه ، لا بكثرته والاسراع فيه .

وهذا الكتاب يضم طائفة من الأقاصيص ذات أجواء مختلفة بعضها يمثل الحياة المصرية التى يعرفها الأستاذ عن خبرة وتجربة ، وبعضها الآخر يمثل الحياة الأوروبية التى ألم بها في رحلاته وأسفاره ، وإن كانت هذه الأجواء المختلفة تتفق في أنها تصور النفس البشرية في إطارها من الحياة الانسانية العامة .

وكثيرون من كتاب القصة المصرية يهدفون في قصصهم إلى إثارة القارئ إثارة حسية ، إما بالأكثر من وصف أجساد

على أن يكلمها بأية وسيلة ، ولستأنا نريد أن نقص كيف بدأ الحديث فان حسينا لا يذكر كيف كان ذلك ، ونحن لانود أن نقص سرها ، ولكننا نقول أننا رأيناها يسيران جنباً إلى جنب ، ثم كانا بعد نصف ساعة في سيارة تسير بهما سريعاً إلى حيث مسكن الفتاة . وهذا غاية في حسن الأيجاز ، وبراعة التخلّص .

وللاستاذ حسن محمودة ملاحظات صائبة ، ينثرها في خلال قصصه وهي ملاحظات تم عن تجارب كثيرة ، وثقافة واسعة ، وفهم عميق للحياة .

أما بعد ، فقد خلقت في هذه الأجواء حيناً من الزمن ، فأتاح لي ذلك لذة روحية عميقة ، ومتمعة نفسية كاملة ، فمن واجبي أن أوجه إلى صاحب هذه الأجواء ، شكري الخالص لما أتاح لي ، ومن واجبي كذلك أن أعبّر له عن تقديري الصادق لمقدرته الفنية . وأنا أعلم أنه لن يرضى عما كتبت عنه ، تواضعاً منه وحياء ؛ فقد عرفته جم التواضع ، وافر الحياء . ولكن ما ذنبي أنا ، وما كتبته هو الحق والحق يبني أن يقال ؟

ابراهيم محمد نجما

والأستاذ هادي الشخصية ، كما يبدو من خلال أسلوبه ، وطريقة عرضه لقصصه ، هادي حتى حين يريد أن يسخر من بعض الناس سخيرة خفية مبطنة ، فتراه يفعل ذلك في شيء أقرب إلى الحياء ، وبصورة لبقة مهذبة . قد تثير الضحك ، ولكنهما على كل حال لا تخرج الاحساس

وهو هادي أيضاً حين يلمس في قصصه أحزان الناس ومآسهم ، وليس ذلك من قلة تأثر بها ، ولكن لأنه من أولئك الذين يحزون في صمت ، فيكون صمهم أبلغ من كل كلام حزين ! وصراخ الانسان قد يثير الفضول أكثر مما يثير الرثاء والاشفاق ، ولكن دمة واحدة تذرفها عين محزون ، في صمت وسكون ، تهز النفوس ، وتثير الدموع !

وهو حين يسجل الانفعالات النفسية لشخصية إنسانية ، يحيطها بما يلائمها من الأجواء والمشهد ، فيكون ذلك منها بمنزلة الاطار من الصورة . يتجلى ذلك في قصته « نظرة إلى شاعر » . ففي هذه القصة تراه يرصد الانفعالات النفسية كما تظهر في شخصية شاعر ركب معه القطار الذاهب من مدينة « بون » الألمانية ، إلى « كوبلنز » ، ويسجل مع هذه الانفعالات المختلفة ، ما يطرأ على مشاهد الطبيعة من تغير واختلاف ، بحيث يجعل من ذلك كله وحدة متناسقة .

وهو ينتقل بشخصياته من جو إلى جو ، ومن حال إلى حال ، بعد أن تمهد لذلك تمهيداً مناسباً ، بحيث يبدو هذا الانتقال طبيعياً ممكناً ، لا أثر فيه للتكلف والاستعالة ، وهو يقتصد في طريقة عرضه ، بحيث يتجنب الحوائث والفضول ، كما يقتصد في تسيره بحيث يخلص في لباقة من الكلام المكرر المألوف إن لم يكن منه بد في موضع من مواضع القصة ؛ ففي قصة « قسم » نرى حسينا يسير بعد الغروب في طريق مهجورة ، ثم يتنبه فجأة لوقع أقدام نطأ الأرض بخفة ، فيلثف وراده ، فإذا فتاة مصرية غضة الشباب هيفاء القوام تحير مثله في هذه الطريق ... فلأن قصصاً آخر عرض لثل هذا الموقف في قصة من قصصه ، لاستغله كما يشاء ، في كلام كثير ، وحوار طويل بشير الحس ، وينبه القرائ .

ولكن الأستاذ حسن محمود يكتفي في هذا الموضع بأن يقول : اوثاقت نفس حسين لنظر هذه الفتاة ، فسار إلى أن حاذها حازماً

احمد حسن الزيات

يقدم

تاريخ الادب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات في ٥٢٥ صفحة

وتمه أوبون قرشاً بعداً أجرة البريد